العرب
الإثنين 2019/10/14
السنة 42 العدد 11497

الجيش المحمدي: محاولة أردوغان الجديدة لارتداء عباءة الفاتح

الرئيس التركي يستخدم العبارات الدينية لتبرير احتلال أراض عربية

عمد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إلى استخدام عبارات دينية في مستهل عدوانه على شمال سوريا، ما يؤكد انسجامه مع نفسه وتاريخه كزعيم شعبوي يؤمن باستخدام الدين وتجييش الجماهير في ممارسته للسياسة، ويعكس عقلية طالما اتسمت بفاشية دينية عناصرها العقيدة والعسكرة والتعصب.

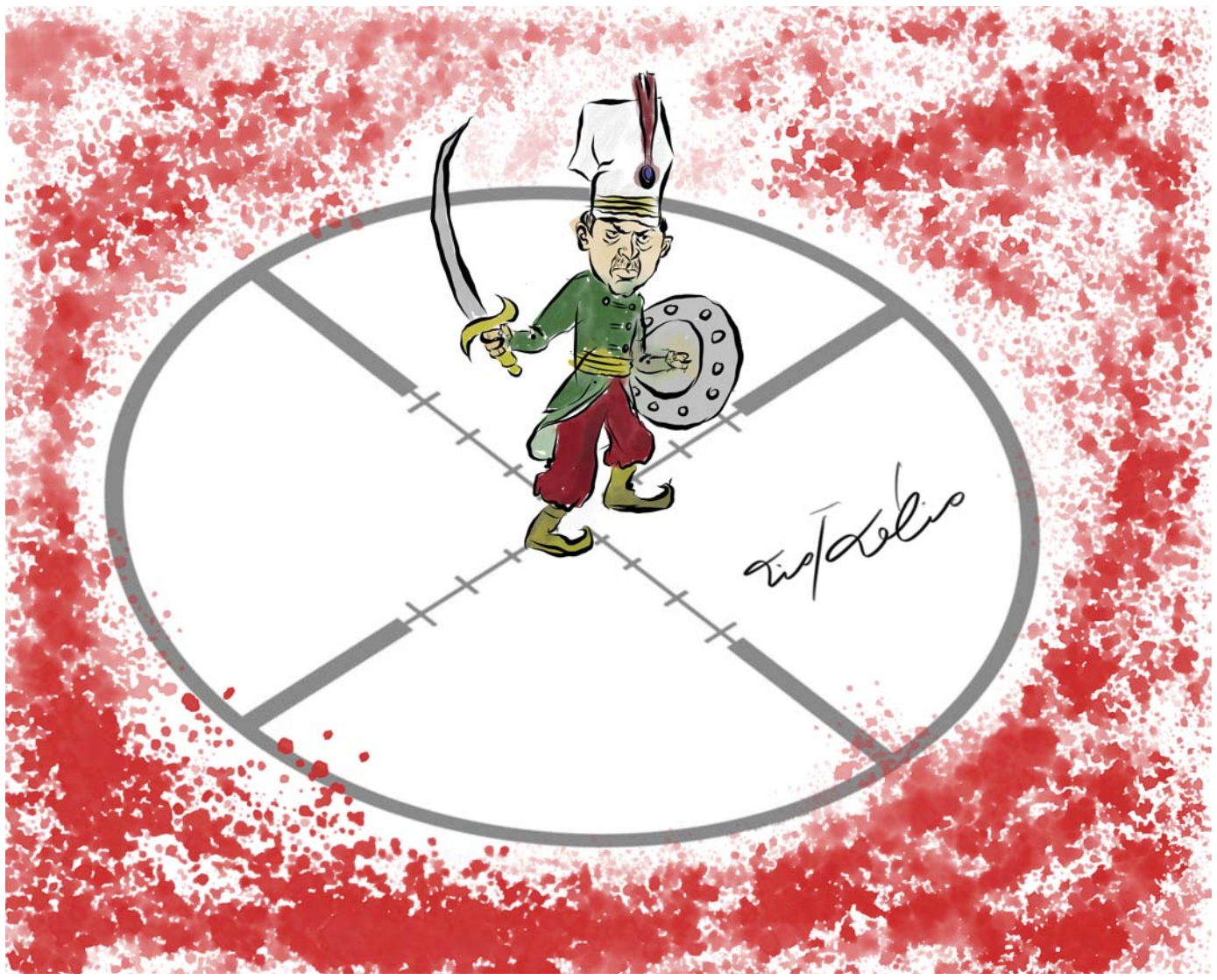

الفاتح الجديد

أنقرة – عاد رجب طيب أردوغان مع انطلاق الحملة العسكرية شرق نهر الفرات شمالي سوريا إلى إعطاء غطاء ديني لأفعاله، واستثارة مفهوم الجهاد ليس في أذهان الجنود فحسب وإنما عند عموم الشعب التركي في محاولات مستمرة لنحت الشخصية التي يريد تقديمها للرأي العام باعتباره السلطان العثماني الفاتح.

وشبّه أردوغان في تغريدة على حسابه بتويتر القوات التي تشارك في الاجتياح العسكري التركي لشمالي سوريا بأنها "جيش محمدي"، وتمنى النجاح لها ولكافة العناصر السورية التي تقف بجانب أنقرة، في إشارة منه إلى فصائل المعارضة الموالية لتركيا.

يشكّل توظيف المقدس في جوهر السياسة التي دأب عليها الرئيس التركي، حيث عمد في كل مرة إلى إلصاق مسميات إسلامية على جرائمه ليصبغها بصبغة دينية. وما إطلاق وصف "الجيش المحمدي" على الجيش التركي إلا محاولة منه لإضفاء نوع من القداسة على الحملة العسكرية العدوانية التي يهدف من خلالها إلى احتلال جزء من أراضي دولة عربية، بعد أن جعل من دخول المنطقة في الفترة السابقة مشروع حياته السياسية ومسألة حياة أو موت بالنسبة إليه.

> الرئيس التركي يعمد في كل مناسبة إلى استدعاء الخطاب الديني سعيا منه لإضفاء هالة من القداسة على حكمه، وتسعير العصبية الدينية حوله

ويبرهن خطابه حول العملية العسكرية في شمال سوريا انسجامه مع نفسه وتاريخه كزعيم شعبوي يؤمن بعسكرة الدين وتجييش الجماهير في ممارسته للسياسة، حيث سبق أن سجن بسبب إطلاقه شعارات جاء فيها "مساجدنا ثكناتنا.. قبابنا خوذاتنا.. مآذننا حرابنا.. والمؤمنون جنودنا.. هذا هو الجيش المقدس.. الذي يحرس ديننا"، وهي عبارات تختزل عقليته السياسية الراهنة كزعيم إسلامي يبشّر بفاشية دينية عناصرها العقيدة والعسكرة والتعصب.

ويعود التعصب لدى أردوغان إلى تفاعل عدد من العوامل التي يرجع بعضها إلى تأثر أردوغان بشدة بالتنشئة الاجتماعية والسياسية التي تعرض لها، حيث تخرّج من مدارس "إمام خطيب" الإسلامية الدينية، وعمل في بداياته مع التيار الديني في تركيا الذي كان يمثله آنذاك نجم الدين أربكان؛ حيث كان عضوا فاعلا في حزب السلامة الوطنية ثم حزب الرفاه والفضيلة اللذين شكلهما أربكان.

ولا تعتبر أنظمة الإسلام السياسي، التي ينحدر منها الرئيس التركي، استعمال المقدس سلوكا مستغربا، فعقيدتها تقوم في منابعها على التوظيف الأيديولوجي للمقدس نصوصا ورموزا في بناء سردياتها التأسيسية ووضع منطلقاتها النظرية.

ويمثل أردوغان نموذجا للزعامة الإسلامية الشعبوية المتمرسة في توظيف المقدس لاكتساب الشرعية، من خلال استعمال الشعارات والعبارات الدينية للترويج لمشروعه السياسي.

ويهدف الرئيس التركي من وراء استدعاء الخطاب الديني إلى محاكاة المخيال الشعبي التركي مضفيا بذلك طابعا مقدسا على سياساته، كيف لا وهو الطامح إلى زعامة تركية غير تقليدية تتجاوز وزن ومكانة مصطفى كمال أتاتورك لتصل إلى إحياء صورة الفاتح العثماني.

وهو يريد في سعي محموم بعث رسالة مفادها أنه الوريث الشرعي للخلافة العثمانية من خلال تعصبه لتاريخها ورموزها. وقد قامت وسائل الإعلام التابعة لحزبه، العدالة والتنمية، بتأكيد ذلك مرارا، فعلى سبيل المثال قامت هذه الصحف بوضع صورة أردوغان بجوار صورة السلطان عبدالحميد الثاني الذي يعد واحدا من أقوى السلاطين العثمانيين.

ويعمل بصورة منهجية على الاستثمار في صورة "القائد التركي القوي" الذي يدافع عن الأمة، وتوظيفها في تسويق نفسه، وتعزيز نظرة الأتراك عن أنفسهم كأمّة متفوقة عرقيا ووصية على الإسلام والمسلمين من خلال حملها لإرث الخلافة العثمانية الآفلة.

ولا ينفك الرئيس التركي في كل مناسبة على استدعاء الخطاب الديني، سعيا منه لإضفاء هالة من القداسة على حكمه وتسعير عصبية دينية حول شخصه بصفته المدافع عن الدين والوطن، حيث دأب منذ توليه الحكم في بلاده على استخدام الدين في جميع المناسبات السياسية، كان ذلك إثر حدوث الانقلاب العسكري سنة 2016، أو في صراعه مع جماعة الداعية فتح الله غولن.

ولأن الرئيس التركي اعتاد توظيف الدين لتبرير طموحاته السلطوية، وجّه تعليماته لرئاسة هيئة الأوقاف والشؤون الدينية الرسمية علي إرباش بإلغاء الإجازات لخطبائها، والعمل على مدار الساعة، ومخاطبة فروعها بعموم البلاد، وإعداد خطب تنطلق من الكتاب والسنة، بهدف إضفاء شرعية على التوغل بالأراضي السورية.

وتناقلت وسائل إعلام مختلفة صورة الجنود الأتراك وهم يتلون سورة الفتح، وهي في الحقيقة صورة تعكس حقيقة التدخل التركي أنه ليس موجها لمحاربة "التنظيمات الإرهابية" وحدات حماية الشعب الكردية وتنظيم داعش كما تزعم أنقرة، وإنما لاحتلال جزء من الأراضي العربية تحت غطاء "الفتح".

وكانت المفاجأة الكبرى إطلاق تسمية "نبع السلام" على الحملة العسكرية، فيما ستكون الحملة في جوهرها نبع تطرف باعتبارها ستدفع إلى تشريد وتهجير الملايين من سكان القرى الحدودية المتاخمة لتركيا ومضاعفة معاناتهم. وهو ما يفند الادعاءات والمزاعم التركية حول حماية اللاجئين، حيث تبيّن في أكثر من مناسبة أنها تستخدم هذا الملف في توفير دعم مالي لها للمقايضة السياسية مع الأوروبيين والأميركيين.

ورجحت مصادر سياسية أن غاية أردوغان من العملية العسكرية ضد الأكراد في الشمال السوري ليست إلا السعي لإطالة عمر نظامه الموجود حاليا في العناية المركزة، ويمثل التوغل التركي في شمال سوريا تأكيدا لنية أنقرة في احتلال المنطقة وفرض سيطرتها عليها في استعادة منها لمجد إمبراطوريتها الآفلة. وهي التي لطالما اعتبرت محافظة حلب وجزءا مهما من إدلب أراض تابعة لها تاريخيا، وأنه جرى افتكاكها منها في اتفاقات مجحفة بحقها إثر انهيار الدولة العثمانية.

وسيسمح التوغل التركي شمال سوريا في دعم الجماعات والعناصر الإرهابية كتنظيم داعش و"هيئة تحرير الشام" بسوريا، ويحول المنطقة إلى منطقة حرب مفتوحة تفتح الباب أمام تنامي وتفريخ الجماعات الإرهابية.

وقدّرت أوساط سياسية متابعة أن الاعتداء التركي سيمكن من تنامي قوة تنظيم القاعدة، ممثلا بتنظيم "حراس الدين" المتورط بإراقة دماء المدنيين السوريين خلال الأعوام الماضية، مؤكدة أن الاعتداء التركي كشف وهم ادعاء أردوغان بدعم القضايا العربية والإسلامية، وأن مواقفه السابقة لا تعدو أن تكون سوى خطابات اخترعها لاستقطاب جماعات تساعده في تنفيذ أجندته في الدول العربية والإسلامية.

وفي تعليقها على العملية استهجنت العديد من التغريدات على تويتر الخطاب الذي استخدمه المسؤولون الأتراك، وعلى رأسهم الرئيس رجب أردوغان، لشحن مؤيديهم ورص صفوفهم، حيث قال أحد المغردين في توصيف خطاب الرئيس التركي "الساحر والمنوم المغناطيسي الأكبر قام بتنويم الناس بخطاب قومي إسلامي من خلال عمليتي درع الفرات وغصن الزيتون، فأسس برياحهما نظامه الحالي، لكن لما تدهورت شعبيته جراء الانشقاقات الداخلية والفشل الاقتصادي وغياب القانون بدأ يلعب اليوم على الحبل ذاته لإبقاء نظامه".

مصر على خطى السعودية والسودان في تطهير التعليم من الأخونة

القاهرة – سلكت الحكومة المصرية المسار الذي بدأته كل من السعودية والسودان بتطهير الحقل التعليمي من الإرث الإخواني، حيث أعلن طارق شوقي وزير التربية والتعليم، الاثنين، فصل 1070 معلما ينتمون إلى جماعة محظورة، في إشارة إلى الإخوان، في تحرك يعد الأول من نوعه منذ سقوط حكم الرئيس محمد مرسي.

ويأتي التوجه المصري، بعد أربعة أيام، من إصدار رئيس الوزراء السوداني عبدالله حمدوك، قرارات بإعفاء مدراء الجامعات الحكومية ورؤساء مجالسها، وعددهم 63 شخصية، كبداية لطي صفحة استمرت ثلاثة عقود من أخونة التعليم.

وتخوض السعودية معركة مماثلة لتطهير التعليم من تغلغل الإخوان ومساعيهم للسيطرة عليه من الداخل وتوجيهه نحو ما يخدم الأهداف الأيديولوجية والسياسية للجماعة.

ووعدت وزارة التعليم المصرية بملاحقة دفعات أخرى لمواجهة المصير نفسه، وتطهير المدارس من المعلمين المتطرفين فكريا ومن يحملون توجهات دينية متشددة، لحماية الطلاب من التأثير عليهم ومنع استقطابهم كنوع من تعويض الخسائر المتلاحقة والضربات التي تتعرض لها الجماعة.

يمثل هذا التحرك خطوة جادة نحو اقتلاع جذور التطرف والإرهاب في المجتمع، لكن يظل تراخي الأزهر في القيام بنفس الخطوة، وإقصاء المعلمين والأساتذة الذين ثبت في حقهم الانتماء إلى الإخوان، وبث أفكار متطرفة في عقول الطلاب، معضلة أمام الحكومة في مسار تطهير حقل التعليم كليًا من المتشددين.

وترى الحكومة أن استمرار وجود المعلمين الإخوان في المدارس يمثل عقبة في تطبيق نظام التعليم الجديد الذي يقوم على تطبيق مناهج عصرية تحترم الآخر وتقضي على التمييز والعنصرية وتؤسس لمجتمع متسامح ومتحضر، ما يتنافى مع الفكر الإخواني القائم على الانتقائية والإقصاء والعداء مع كل من يختلف مع الجماعة.

اعتاد الكثير من المعلمين المنتمين إلى الإخوان، تشويه مؤسسات الدولة المصرية في عيون الطلاب، والتحريض ضدها، إلى درجة أن وزارة التعليم حققت نهاية العام الدراسي الماضي مع معلمة إخوانية لأنها تعمدت تزييف الحقائق المرتبطة بانتصار الجيش المصري على إسرائيل في حرب أكتوبر 1973، وزعمت أن العكس هو الصحيح.

تعتقد وزارة التعليم أن الحرب الضروس على نظام التعليم الجديد ومناهجه العصرية، يقف وراءها معلمون ينتمون إلى الإخوان، وهؤلاء نجحوا في استقطاب مجموعة من أولياء الأمور والطلاب لدعم وجهة نظرهم التي تتحدث عن "سعي النظام المصري لتطبيق أفكار أوروبية متحررة في التعليم"، ما شكل أزمة للحكومة، وتحاول إقناع الناس بمزايا التعليم الجديد.

أخونة التعليم تعيق تطويره

ينظر الإخوان إلى أن قيام عناصر الجماعة الموجودين داخل المؤسسات التعليمية بتحريض الناس على الحكومة، كجزء من المعركة ضد الدولة بمختلف مؤسساتها، باعتبار أن الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي اعتبر تطوير التعليم في صدارة برنامجه الانتخابي للفترة الرئاسية الثانية، وبالتالي فإن محاربته وإحراجه أمام ملايين الأسر يحقق الهدف المطلوب، وهو خفض الدعم الشعبي له لإخفاقه في ملف حيوي مثل التعليم يرتبط بنحو 22 مليون طالب وطالبة.

نجح الإخوان في التسلل إلى قطاع التعليم بأعداد كبيرة خلال الفترة التي أعقبت ثورة 25 يناير 2011، وتعمدوا الاعتماد على كوادر الجماعة في إدارة وزارة التعليم، والتحكم في مفاصلها الرئيسية،و فتحوا الباب على مصراعيه لتعيين معلمين منهم لتوسيع قاعدة انتشار فكر الجماعة بين الطلاب.

جاءت خطوة العزل الوظيفي للإخوان من الحقل التعليمي بعد قيام وزارة التعليم بحملة واسعة على المدارس الواقعة في نطاق جغرافي يمثل بؤرة لاستقرار الفكر الإخواني، لتطهير مكتباتها من المجلدات التي تحض على التطرف والإرهاب ونشر أفكار الإخوان وقادتهم. وأزمة الحكومة هي أن عدد المعلمين يتجاوز مليونا و300 ألف مدرس، ما يتيح للعناصر الإخوانية التسلل بينهم بأريحية، لكن أمام الضغوط المجتمعية التي قادها مفكرون ومثقفون وخبراء تربويون لمواجهة الإرهاب الفكري في بعض المؤسسات التعليمية، تحركت الحكومة وبدأت تراقب سلوكيات المعلمين وتتيح لأرباب الأسر المشاركة في تقييم أداء وتوجهات معلمي أولادهم.

> الخطورة ليست في المعلم الثابت عليه الانتماء إلى الإخوان أو يروج علانية لأفكار متطرفة تتناغم مع الجماعة، بقدر ما تكمن المعضلة في الخلايا النائمة

سهلت هذه المسألة مهمة الجهات الرسمية في كشف انتماءات بعض المعلمين على حقيقتها، حيث لم يخف بعضهم أنه يحمل أفكارا إخوانية، وعمد هؤلاء إلى الكتابة على صفحاتهم الشخصية عبر مواقع التواصل، والتحدث إلى زملائهم عن قرب سقوط النظام، بل إن بعضهم كان يحرض ويروج لخطاب ومطالب الإخوان.

يرى مراقبون، أن الخطورة ليست في المعلم الثابت عليه الانتماء إلى الإخوان أو يروج علانية لأفكار متطرفة تتناغم مع الجماعة، بقدر ما تكمن المعضلة في الخلايا النائمة أو التي تتعاطف في الخفاء، لأن هؤلاء صعب اكتشافهم بسهولة.

وأكد مصدر مطلع بوزارة التعليم لـ"العرب"، أن قرارات العزل الوظيفي للإخوان مبنية على تصرفات ووقائع مثبتة من جانب لجان التفتيش والأمن الإداري وتحريات الأجهزة الرقابية، ولم يتم الاعتماد على التحقيقات الإدارية فقط كمرجعية لإقصاء المتطرفين فكريا.

وأضاف المصدر، أن المدارس المصرية تواجه عجزا شديدا في المعلمين، وبالتالي لا يمكن أن يتم عزل أكثر من ألف مدرس بسهولة كنوع من الثأر، إلا إذا كانوا يمثلون خطرا حقيقيا على عقول الطلاب ويزرعون في داخلهم أفكارا هدامة لتحقيق أغراض سياسية مشبوهة لتعويض خسائرهم في الشارع.

يحق للحكومة، وفق قانون التنظيمات الإرهابية، عزل أي شخص مدرج في قوائم الإرهاب، أو ينتمي إلى جماعة محظورة من وظيفته، لأنه يعد فاقدا لشرط حسن السمعة والسيرة اللازمة لتولي الوظائف والمناصب العامة أو النيابية.

واعتمدت جماعة الإخوان عند نشأتها على استقطاب طلاب المدارس من خلال أساتذتها، عبر استراتيجية قامت على تمجيد الفكر الإخواني والإيحاء بأن الجماعة تهدف إلى نشر الإسلام والحفاظ على الدولة.